E125

بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية

في عهد باسيل الأول المقدوني

(٨٦٧-٨٨٦ م / ٢٥٣-٢٧٣ هـ)

دكتور
وديع فتحي عبد الله
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية آداب بنها

١٩٩٢

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

الاهـــداء

الـى روح أمـى ...

بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية
فى عهد باسيل الأول المقدونى
(٨٦٧-٨٨٦م/٢٥٣-٢٧٣م)

دكتـــور

وديـــع فتـحـى عبـد اللـــه

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ببنها

تمهيـــــد

كثيرا ماعانت الامبراطورية البيزنطية من تهديد أمم وشعوب، أو من حركات دينية مناوئة، الآ أنها امتلكت من القوة ماجعلها تتغلب على هذه الأخطار حينا أومهادنتها أحيانا أخرى، وبذلك تحقق لها الاستمرار قرابة ألف عام. ويرجع الفضل فى ذلك الى أباطرة وقادة أكفاء استطاعوا بأنفسهم وجيوشهم مواجهة الأخطار، وعلماء ومفكرين قدموا روائع الفكر(١). ولعل أفضل ماتمتعت به بيزنطة موقع استراتيجى هام وفّرلها أهمية تجارية كبيرة، من ناحية، وقوة بحرية، من ناحية أخرى؛ حيث أن القسطنطينية ورثت عن روما نفس الالتزامات والمزايا الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والادارية ايضا. علاوة على هذا لم يكن بوسع القسطنطينية أن تفرض سيطرتها على الغرب دون أن يكون لها اليد العليا فى البحر المتوسط؛ حتى أصبحت فترات القوة بالنسبة للامبراطورية البيزنطية هى تلك الفترات التى كانت السيادة فيها لها على البحر؛ وحين تفتقد هذه السيادة كانت تبدأ فى التقهقر والانحسار(٢).

وكانت أحوال الامبراطورية البيزنطية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م/٢٥٣-٢٧٣هـ) مؤسس الأسرة المقدونية التى تنسب اليه، خير ممثل

١-جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية٢٨٤-١٤٥٣م، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة١٩٨٤م، ص٣١؛ حسنين محمدربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م/ص١٥٦.

٢- Louis Brehier, La Marine de Byzance du VIII^{e} au x1^{e} Siécle in "B" Tome xix, Bruxelles1949, P.1.

لهذه السمات، خاصة فيما يتعلق فى المواجهة مع المسلمين فى الغرب، حتى اعتبر حكمه فاتحة عصر جديد لاعظم الأسر التى تربعت على العرش البيزنطى. فقد اقترنت بهذه الأسرة حركة الازدهار، بعدما أهملت أمورها الخارجية، وبصفة خاصة ناحية الغرب. وقد تزايد هذا الإهمال فى عهد ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٦٧م)[١]، بينما نجح باسيل الأول فى السيطرة على آسيا الصغرى، وتراقيا، وجنوب شبه جزيرة البلقان بشكل فعّال، وعلى الجزء الجنوبى من إيطاليا بشكل أقل فعالية. ثم امتدت هذه السيطرة فى نهاية هذا العصر من نهر العاصى إلى أسفل قدم إيطاليا، ومن القرم إلى طرابلس الشرق، كما تم استرداد قبرص وكريت، وامتدت الحدود الشمالية الغربية على طول الدانوب إلى ساحل دالماشيا[٢]. ويمكن وصف إنجازات هذه الأسرة بإيجاز فى قول المؤرخ ميشيل بسللوس: " لايخامرنى أدنى شك فى أن الله أنعم على هذه الأسرة كما لم ينعم على أسرة غيرها فى أى وقت من الأوقات...، ولا يمكن مقارنتها بأى أسرة أخرى فى روعتها"[٣].

١- Constantine Porphyrogenitus, Historia De Vita Rebus Gestis Basilu, In Theophanes Continuatus, P.G.M., Tome CIX, Paris 1863, col. 304.

٢- Romilly Jenkins, Byzantuim. The Imperial Centuries610-1071 AD., London, 1966,P.183.

راجع أيضا: وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية٣٢٤-١٠٢٥م، ج١، الاسكندرية١٩٨٢، ص٢٤٩-٢٥٠؛ أنظر أيضا:خريطة رقم١.

٣- Michael Psellus, Chronogrphia,Ed Renauld, 2 Vols, Paris, 1926-1928, Vol1,P.II7.

ومن هنا كان إختيارى لهذا الموضوع، وخاصة وأنه، علاوة على ماتقدم يعالج فترة محددة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب. كما أنه يعرض لفترة من فترات الصراع بين العالم الإسلامى فى الشرق ممثلا فى مسلمى المغرب الذين أسسوا دولة مستقلة لهم هى دولة الاغالبة وعاصمتها القيروان، والعالم المسيحى فى أوربا ممثلا فى الإمبراطورية البيزنطية التى سيطرت، حتى وقت قريب، على البحر المتوسط. لذا كان مجال الصراع بين هاتين القوتين منطقة غرب البحر المتوسط خاصة فى جنوب إيطاليا وصقلية.

وهذه النوعية من الموضوعات لم تأخذ حقها من الدراسة. فماكُتب فى معظمها عبارة عن نتف مبعثرة فى كتب المؤرخين الحديثين من عرب وأجانب، حتى أن المكتبة العربية قد خلت من بحث قائم بذاته يلم بكل نواحى الموضوع. وفى نفس الوقت،فإن ماكتبه المؤرخون الغربيون الحديثون لايعبر فى معظمه الاّ عن وجهة النظر الغربية. واذكر مثالا على ذلك كتاب المؤرخ الفرنسى فوجت Vogt المتخصص فى باسيل الأول والمؤلف فى باريس عام ١٩٠٨م[١]. فرغم تخصصه فى حكم باسيل، الاّ أنه اهتم بالنواحى الشخصية للإمبراطور.كما اهتم بالنواحى الدينية والحضارية لبيزنطة من وجهة النظر الغربية. هذا علاوة على قدم هذا الكتاب (١٩٠٨) فقد ظهرت مؤلفات وأبحاث ومقالات جديدة تفتح الباب أمام موضوعات وآراء جديدة لتغطية جوانب الموضوع بجيدة ودقة وأمانة

١- Vogt, A., Basil 1 er Empereur de Byzance (867-886) et La Civilisation Byzantine a La fin de 1X e Sicele, Paris, 1908.